

ومن المصطلحات ما قتل..

بقلم د . حامد طاهر

أريد أن أستعرض هنا عدداً من المصطلحات التى شاعت فى أحاديث السادة المسئولين ، والكتاب ، والمتحدثين فى الإذاعة والتلفزيون وأصبحت تجرى على ألسنتهم بسهولة دون أن يستوقفهم أحد ليحدد معناها ، أو يسألهم عن مدى جدواها فى واقع حياتنا اليومية . وأستطيع أنؤكد أنه بعد فترة من الوقت ، وعندما يمتد الزمان سوف يأتى جيل آخر ، ليتساءل بحق : ماذا كان يريد أبائنا بهذه المصطلحات ؟ وهل فعلاً كانت تعنى المقصود منها بالضبط ؟ ثم وهو الأهم : على ماذا كانت تنطبق ؟

ومن أهم هذه المصطلحات (الشفافية) وهى كلمة مطاطة نقلوها من مجال العلوم ، وهى تعنى هناك : نقاء المادة بحيث تظهر كل ما وراءها كالزجاج مثلا ، فمن الذى يرضى بأن تظهر كل الأمور فى مجاله بهذا الشكل ؟ ويكفى أن تسأل واحداً من أنصار الشفافية عن راتبه الذى يتقاضاه ، فضلاً عن الدخل الذى يصل إليه شهرياً . وأتحدى أن يجيبك أى إنسان فى العالم عن ذلك السر المغلق ، والذى يستحيل أن تخترقه الشفافية ؛ ومن تلك المصطلحات (منظومة) والغريب أنك يمكن أن تسمع هذا المصطلح من أحد المسؤولين عن المجارى ، أو اصلاح الطرق ، أو تطهير المترع .. ومن تلك المصطلحات (تفعيل) والمقصود بها طبعاً تنفيذ القوانين واللوائح المكتوبة فى الأوراق على أرض الواقع . ولأن كلمة تنفيذ محددة المعالم ، فإنهم يهربون منها إلى مصطلح غامض لا يمكنك أن تخرج منه بنتيجة محددة . ومن تلك المصطلحات (آليات) وهى كلمة تثيرنى جداً إذا وردت فى حديث أحد المسؤولين ، وهى من حيث اللغة تعنى جمع آلية ، من الآلة أى الماكينة ، لكنهم يشيرون بها إلى ترتيب الإجراءات بنظام معين لكى يتم تنفيذها .. وهيهات أن يتحقق شيء من ذلك ! ومن تلك المصطلحات (استراتيجية) وعلى الرغم من أن هذا المصطلح خاص بالفكر المؤسسى للدولة ، سواء على المستويات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية ومن امثلتها انشاء محطة نووية للأغراض السلمية ، لكننا أصبحنا نسمعها من المسؤولين عن أقسام إدارية متناهية الصغر ، فيقولون لك أن استراتيجية البريد هى كيت وكيت ، واستراتيجية توزيع الخبز هى على النحو التالى ..

ومن تلك المصطلحات (الانتماء) وقد أصبحوا يستخدمونه بدلاً من : حب الوطن ، وهو المصطلح المرائع ، والمحميم الذى كان يغرس فى نفوس المنشء المارتباط بوطنهم ، والمتضحية بالروح فى سبيله .. أما المصطلح الذى استخدموه لفترة ثم هجروه ، وخاصة بعد أن نيهت بكل تواضع إلى عدم دقته فهو (محدود الدخل) وكانوا يضعونه فى مقابل الإنسان الغنى .. مع أن محدود الدخل لا يشمل الفقير ، الذى لا يجد قوت يومه .

وفى النهاية أقول : إن المصطلحات الشائعة فى عصر ما هى التى تحدد جانباً هاماً من حقائق هذا العصر ، تماماً مثل الشعارات التى قد تلهب حماسة الجماهير فى وقت ما ، ثم عندما تختلف العصور ، وتتغير الأحوال ، يبدأ الناس يعيدون التفكير فيها ، ويتعجبون : كيف انساقوا وراءها ؟ وكيف جرحوا حناجرهم فى المهتاف بها ؟ !

